



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبرهاري) شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (18)

التاريخ: الأحد 21/صفر/1441 هـ

20/أكتوبر/2019 م

الدرس الثامن عشر من شرح السنة للبرهامري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال المؤلف: ([99] وَمَنْ قَالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ سَكَتَ فَلَمْ يَقُلْ: مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ؛ وهكذا قال أحمد بن حنبل، وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي؛ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً؛ فَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيينَ، وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"⁽¹⁾)

تقدم معنا القول في كلام الله تبارك وتعالى؛ والقرآن من كلام الله تبارك وتعالى.

يقول المؤلف هنا: (ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي)،

يعني: من أتباع الجهم بن صفوان، هذه الفرقة فرقة كافرة وليست من أهل الإيمان؛ وذلك أنهم أصلاً أخذوا دينهم الذي يعتقدونه، والذي فيه أنواع من الكفریات؛ أخذوه عن اليهود؛ وقد ذكرنا ذلك في الدروس الماضية؛ فحقيقة قول الجهم بن صفوان في الاعتقاد: أنه لا يوجد إله، لا يوجد رب؛ هذا حقيقة القول؛ لا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا أمام، ولا خلف؛ ولا شيء، ولا يتصف بصفات، ولا يُسمَّى باسم؛ إذاً فهو عدم لا شيء؛ هذه عقيدة هؤلاء القوم؛ فهم لا يُثبتون أن الله تبارك وتعالى يتكلم كلاماً حقيقياً؛ وبناءً على ذلك: لا يُثبتون أن القرآن كلام الله تبارك وتعالى؛ لذلك قال المؤلف هنا: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق)، هذه الكلمة مُوهمة، تحتمل حقاً وباطلاً، إن كان الشخص سُنِّيًّا بحق، عقيدته واضحة؛ فلا يحتاج إلى مثل هذه الكلمات المُوهمة التي تحتمل حقاً وباطلاً؛ خصوصاً في وقت الفتنة بالمسألة التي وقعت، يعني: الفتنة وقعت في زمن الإمام أحمد في هذه المسألة: القول بخلق القرآن؛ القول أن القرآن مخلوق؛ قول الجهميَّة، قالوا: القرآن مخلوق، صرخ بهم فيه أهل السنة، ونادوا بأعلى صوتهم: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ كلام صريح واضح؛ لأن أدلته واضحة كعين الشمس، فعندما يأتي شخص ثالث ويقول: "لفظي بالقرآن مخلوق"؛ تكون هذه

(1) تقدم تخريجه.

الجملة محتملة للمعنى الذي أراده الجهمي، والمعنى الذي أراده السُّني، فماذا يُريد من وراء تمميع الموقف بهذه الطريقة؟

هو إمّا أنّه شاكّ وقد التبس عليه الأمر، أو أنّه يريد أن يُشكّك النَّاس في دينهم؛ فلذلك قام عليهم أهل السنّة، وعدّوهم من ضمن الجهمية؛ فقالوا: **(من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي)**، لو كنت صاحب حق تعتقد الحق؛ لصّحت به؛ ولكن لما كان في نفسك مرض؛ توقفت وقلت: لفظي بالقرآن مخلوق؛ مع أنّ الكلمة في نفسها كما ذكرنا: هي لفظة مُجملة تحتل حقاً وباطلاً، فإذا أردت: التلقّظ؛ فهو مخلوق؛ لأنّه من فعل العبد؛ حركة فم الإنسان، وحركة لسانه وصوته؛ هذا مخلوق، لكن إن أردت الملفوظ به؛ هذا كلام الله تبارك وتعالى، عندما تقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾⁽¹⁾، هل أنت المتكلّم بهذا الكلام؟!

لست أنت الذي تكلمت بهذا الكلام! هذا كلام ربّ العالمين؛ لذلك تقول: قال الله كذا وكذا؛ فالكلام كلام الله تبارك وتعالى، فإن أردت صوتك وحركتك؛ فهذه مخلوقة، وإن أردت كلام الله تبارك وتعالى الذي هو الملفوظ؛ فهذا ليس مخلوقاً؛ وهو كلام الله سبحانه وتعالى.

انظر! الآن الجملة احتملت مَعْنَيْن: حقاً، وباطلاً؛ فلذلك ربّما يقول قائل هذه الكلمة يريد بها أن الملفوظ مخلوق؛ هذا المعنى الباطل، ويريد أن يُوهم النَّاس وأن يُشكّكهم في أمر دينهم؛ فليس عند أهل السنّة إلا أبيض أو أسود؛ ليس عندهم رمادي، أعطنا مباشرة ما عندك، قل الحق الذي تعتقده، لا تلف وتدور، التلوّن واللّف والدوران حركات أهل البدع، أمّا أهل السنّة؛ فعندهم صراحة في دينهم، ليس عندهم تلاعب.

قال: **(ومن سكت فلم يقل: مخلوق أو غير مخلوق)**،
فصار عندنا أربعة:

- الأول: من يقول: "القرآن مخلوق"
- الثاني: من يقول: "القرآن غير مخلوق؛ فهو كلام الله تبارك وتعالى"
- الثالث: من قال: "لفظي بالقرآن مخلوق"

[14: طه]

- الرابع: من سكت؛ فلا قال في القرآن: مخلوق، ولا قال: غير مخلوق

وكلها باطلة؛ إلا قولك: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ هذا الحق فقط، والباقي كله باطل. هنا يقول لك- بعدما بيّنا في الدّروس الماضية أنّ القول بأن القرآن مخلوق: باطل، وأن قول الحق عند أهل السنة: أن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ جاء إلى القولين الأخيرين؛ وهما: "لفظي بالقرآن مخلوق" والآخر: السكوت، فلا تقول مخلوق ولا غير مخلوق، تقول: أنا أسكت لا أقول: مخلوق ولا غير مخلوق!

لماذا سكت؟ أنت شاك؛ فسكوتك شكٌ في دينك، وأدلة أن القرآن كلام الله غير مخلوق كعين الشمس واضحة؛ ما الذي يمنعك من قول الحق والسكوت؛ إلا الشك الذي في قلبك؛ لذلك قال: **"ومن سكت ولم يقل مخلوق أو غير مخلوق؛ فهو جهمي"**.

الحق يجب أن تنطق به؛ هذا واجب عليك، لا يجب السكوت؛ خصوصاً في وقت المحنة والفتنة في المسألة التي نحن في صددِها.

وقد حصلت هذه الفتنة- وهي القول بأن القرآن مخلوق- في زمن الإمام أحمد؛ تبنّاها المأمون أحد خلفاء الدولة العبّاسيّة، بسبب أحد وزرائه من المعتزلة: وهو ابن أبي دؤاد، تبنّاها وصار يمتحن الناس بها؛ فامتحن العلماء، من قال: إنّ القرآن مخلوق؛ تركه، ومن قال: غير مخلوق؛ عذّبه، فمات من مات من العلماء، وسُجن من سُجن، وأجاب من أجاب إكراهاً، وثبّت الله الإمام أحمد بن حنبل؛ فقال بالحق وأبى أن يقول الباطل، وسُجن وجُلد وضُرب، ولكن نصره الله في النهاية، وكان الناس ينتظرون كلمة الإمام أحمد؛ ماذا سيقول، وثبت على الحق؛ قال: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال: **(وهكذا قال أحمد بن حنبل)**؛ ماذا قال؟

قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن سكت ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق؛ فهو جهمي.

قال: **(وقال رسول الله ﷺ: "إنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فأياكم ومحدثات الأمور")**.

هذا الحديث حديثٌ عظيم؛ يبين لنا النبي ﷺ فيه ما الذي سيحصل في هذه الأمة بعده؛ فقال عليه الصلاة والسلام: **"إنَّه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً"**؛ سيقع اختلاف وتضارب في الآراء والأقوال، وتوهان عند كثير من الناس.

ما الحل؟ كيف الطريق إلى الخروج من هذا؟!

وهذا سؤال كثير من الناس؛ يسأله إمَّا بلسان حاله، أو بلسان مقاله، يقولون: نسمع الشيخ الفلاني يقول كذا، والشيخ الفلاني يقول كذا، وفلان يرد على فلان، وفلان يُبدع فلان! فماذا نفعل نحن؟

افعل ما قاله لك النبي عليه الصلاة والسلام؛ تعلّم العلم، واعرف كيف تمشي في طريق النبي ﷺ وطريق أصحابه، هذا حديث النبي ﷺ؛ قال: **"إنَّه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً"**؛ ما الحل؟ قال: **"فإياكم ومُحدثات الأمور"**.

كيف تخرج من الخلاف والنزاع؟ كيف تفرُّ من الباطل؟
بأن تجتنب المحدثات من الأمور.

ما معنى: المحدثات من الأمور؟

كل ما هو جديد في دين الله؛ فهو محدث؛ جديد في الدين لا في الدنيا، سيارة، طائرة، كمبيوتر، هاتف؛ ليس كلامنا هنا؛ وهذا مما ينفع الناس؛ فليس فيه بأس؛ بل رُبَّما بعضها يدخل في الوجوب؛ لكن نحن نتحدَّث عن الأمور الدِّينيَّة التعبُّديَّة؛ كل عبادة سواء كانت عبادة قلبية، أو عبادة قولية، أو عبادة فعلية، لم يردِّها الدليل من الكتاب والسنة، ولم تكن على طريق السلف الأول رضي الله عنهم؛ فهي مُحدثة، جديدة؛ **"وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار"**⁽¹⁾؛

هذا كلام النبي ﷺ.

إذاً طريقة الخلاص من الاختلاف الحاصل هو بترك المحدثات؛ البدع.

إذاً هذه البدعة- القول بخلق القرآن- أمر مُحدَّث؛ لذلك من مناظرات علماء الإسلام؛ علماء السنة لأهل البدع في ذلك الزَّمان؛ قالوا لهم:

(1) تقدم تحريجه.

هذا الكلام الذي أتيتُم به: القرآن مخلوق؛ هل قاله النبي ﷺ؟
قالوا: لا.

فهل قاله الصحابة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم؟
قالوا: لا.

علموه أو جهلوه؟
قالوا: علموه.

وسِعهم السَّكوت عنه أم لم يسعهم؟
قالوا: وسِعهم

قالوا لهم: أفلا تسكت كما سكتوا، لا وسّع الله على من لم يسع ما وسِعهم.

فلذلك من خرج عن منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، وما كان يدور بينهم من أمور الدين؛ فهذا قد أحدث في دين الله ما ليس منه، فقبل أن تتعبد لله باعتقاد، أو قول، أو عمل؛ اعرضه على الكتاب والسنة، وعلى ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ؛ هل كان عندهم ديناً أم لا؟ إذا كان ديناً يتدينون به؛ فهو دين؛ فخذ به وتدين به، وإذا لم يكن ديناً؛ فاتركه عنك؛ فليس هو من دين الله تبارك وتعالى

"فإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنها ضلالة"؛

تُضِلُّك عن طريق الحق الذي يُريد الله سبحانه وتعالى أن تسير عليه.
قال: ("**وعليكم بسنتي**")؛

إذاً طريقة الخلاص: أن تلزم سنة النبي ﷺ، وسنته هنا بمعنى شريعته؛ هديّه؛ ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

قال: ("**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**")

لم يقل سنتي وسكت؛ بل "**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**"،

من هم الذين كانوا من بعده؟

هم الخلفاء الراشدون: أبو بكر، عمر، عثمان، وعلي؛ هؤلاء الخلفاء من بعده، فالمنهج

المستقيم الذي أرادنا الله تبارك وتعالى أن نسير عليه: هو منهج النبي ﷺ وأصحابه؛ هذا الذي

رُسِمَ لنا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽¹⁾؛ هكذا يقول ربُّنا في كتابه؛ إذا الله

سبحانه وتعالى قد رضي عن المهاجرين والأنصار وهم الصحابة- رضي الله عنهم-، وأعدَّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار؛ إذا الطريق الذي ساروا عليه هو طريق الحق؛ لأن طريق الحق واحد، ليس أكثر؛ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ

سَبِيلِهِ﴾⁽²⁾، إذا الصِّراط صراط واحد، "خطُّ النَّبي ﷺ خطأً مستقيماً وخط على جانبيه خطوطاً؛

وقال: هذا صراط الله، وعلى كل طريق من الطرق الأخرى شيطان يدعو إليه"⁽³⁾؛ هكذا أخبرنا النبي

ﷺ، فمن أراد النِّجاة فليَتَّبِع منهج السَّلف رضي الله عنهم؛ الذين هم النبي ﷺ وأصحابه

الكِرام؛ هؤلاء هم سلف الأُمَّة، وهذا المنهج الذي أمرنا الله باتِّباعه؛ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، مَنْ المؤمنون الذي كانوا عندما نزلت هذه الآية؟

إنهم الصحابة؛

﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾⁽⁴⁾، إذا اتَّباع منهج النبي ﷺ وأصحابه؛ واجب،

وليس أمراً اختيارياً؛ لأنَّ طريق الحق واحد لا يتعدَّد؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "ستفترق

هذه الأُمَّة"، وهذا الاختلاف الكثير الذي أخبر عنه في هذا الحديث: "ستفترق هذه الأُمَّة إلى ثلاث

وسبعين فرقة كلُّها في النَّارِ إلَّا واحدة"، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه

وأصحابي"⁽⁵⁾، وفي رواية: "الجماعة"⁽⁶⁾

[1] [التوبة: 100]

[2] [الأنعام: 153]

[3] تقدم تخرجه

[4] [النساء: 115]

[5] تقدم تخرجه

[6] تقدم تخرجه

أصحاب الأهواء كُثُر وكَثُر جداً حتَّى أخبر النبي ﷺ بالحدِّرِ منهم؛ قال: "دعاة على أبواب جهنم من أجابهم؛ قذفوه فيها"⁽¹⁾، وقال: "إذا لم يُبقِ الله عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلّوا وأضلّوا"⁽²⁾؛ هذا كثير خصوصاً في زماننا هذا الذي فُسدت فيه أحوال الناس؛ إلا من رحم الله.

قال: **"وعليكم بسنّي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ"** كي لا تتفلّت منكم، حين تريد أن توصي شخصاً بأن يتمسّك بشيء ثمين؛ ماذا تقول له؟ تقول: أمسك به بيدك وأسنانك؛ هذا كذلك: **"عضوا عليها بالنواجذ"**؛ يعني: شدّوا على السنّة، وتمسّكوا بها؛ لأنّها ستتفلّت منك من كثرة الشبهات وكثرة الشهوات، فاحرص عليها وتمسّك بها؛ كي تنجو عند الله سبحانه وتعالى.

ثمّ قال المؤلّف رحمه الله: ([100] **واعلم أنّه إنّما جاء هلاك الجهميّة: أنّهم فكّروا في الربّ عزّ وجلّ؛ فأدخلوا: لم؟ وكيف؟ وتركوا الأثر، ووضعوا القياس، وقاسوا الدّين على رأيهم؛ فجاءوا بالكفر عياناً لا يخفى؛ فكفّروا وكفّروا الخلق، واضطّروهم الأمر إلى أن قالوا بالتعطيل**).

هنا لا يذكر لك حال الجهميّة، وما الذي أوصلهم إلى ما وصلوا إليه؛ كي تستمتع بقصة ورواية! فلماذا يذكر لنا حال الجهميّة هنا إذا؟

كي يُحدّرنا من سلوك طريقهم، فكأنّه يقول لك: انظر ما الذي أدى بالجهميّة إلى الهاوية! واحذر أن تسير على نفس طريقهم؛ فتقع فيما وقعوا فيه؛ فتضيع كما ضاعوا.

قال: **(اعلم أنّما جاء هلاك الجهميّة)**،

من أين هلك الجهميّة؟ ما السبب؟

قال: **(أنّهم فكّروا في الرب عزوجل):**

(1) تقدم تخريجه

(2) تقدم تخريجه

فكروا في ذات الله، فكّروا في كيفية أسمائه، كيفية صفاته؛ الأشياء التي لا عِلْمَ لهم بها، الأشياء التي حجب الله علمها عن النَّاس؛ فمعرفة كيفية ذات الله، كيفية أسمائه وصفاته؛ أمر غيبي، نحن لا نعرفه، نعرف عن الله عز وجل ما أخبرنا به؛ أخبرنا أنّه رحمن، أنّه رحيم، أنّ له يدين، أنّ له عينين... إلخ، نؤمن بكل ما أخبر به في الكتاب وفي السنة، وما سكّت عنه؛ نسكّت عنه.

هل أخبرنا بالكيفية؟

لم يخبرنا بالكيفية، أخبر بأنّ له يدين؛ لكن كيف هي اليدان؟ الله أعلم، فقط؛ ليس أكثر من هذا؛ لماذا؟ لأنه أخبرنا بأنّ له يدين ولم يخبرنا بالكيفية، وأخبرنا بأنّ يديه ليستا كأيدي المخلوقين؛ فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽¹⁾؛ فنؤمن بكلّ هذا؛ كما جاء في الكتاب وفي السنة.

ثم بعد ذلك خلاص: ليس أكثر من هذا؛ لا تتصوّر كيفية لصِفة الله لا في قلبك، ولا على لسانك، ولا في قلمك؛ خلاص اعمل بها كما جاءت؛ نؤمن بها على هذا الحال، بعد ذلك لا تبحث عن الكيفية، لما جاء رجل إلى الإمام مالك وقال له: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ كيف الاستواء هذا؟ أرني كيف الطّريقة؟

فأطرق الإمام مالك -سكت-؛ ثمّ قال: "الاستواء معلوم" الرحمن على العرش استوى؛ استوى يعني: علا وارتفع، "والكيف مجهول" كيف استوى؟ لا نعلم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأنّه استوى، ولم يخبرنا كيف استوى.

ثم قال له: "والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلّا مبتدع؛ فاخرج من هنا" هذا كان جواب الإمام مالك، الإمام مالك كثير من أجوبته عبارة عن قواعد؛ فخذ هذه القاعدة وامض عليها؛ هذا هو هدي السلف؛ منهج السلف رضي الله عنهم في صفات الله سبحانه وتعالى؛ نؤمن بالصّفة؛ بمعناها، معناها واضح، أما كيفيّتها؛ فلا علاقة لنا بها أي لا نسأل عنها، نحن نعلم أنّ لها كيفية؛ لكننا لا نعرف هذه الكيفية كيف هي؛ لأنّه لم يخبرنا عنها، والسؤال عن الكيفية بدعة، فبما أنّه لم يذكر لنا فيها شيئاً؛ إذّا نسكّت؛ هذا هو الواجب.

(1) [الشورى: 11]

والَّذِي أَهْلَكَ الْجَهْمِيَّةَ: أَنَّهُمْ صَارُوا يُفَكِّرُونَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي لَمْ يُخْبِرْنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَا؛ فَهَلَكُوا.

كَيْفَ يَرِيدُونَ أَنْ يُفَكِّرُوا فِيهَا؟

أَدَخَلُوا لِمَ؟ وَكَيْفَ: اسْتَوَى، كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَعَلَ كَذَا، لِمَ فَعَلَ كَذَا؟

وَتَاهُوا فِي هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي صَارُوا بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَجِيبُوا عَنْهَا؛ فَأَجَابُوا بِعَقُولِهِمْ.

قال: **(وَتَرَكُوا الْأَثَرُ)**؛

تَرَكُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعِنْدَ مَنْهَجِ الصَّحَابَةِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هَذَا الْعِلْمَ لَوْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ، لَوْ كَانَ وَاجِباً عَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ وَنُفَتِّشَ عَنْهُ؛ لَفَتَّشُوا وَبَحَثُوا هُمْ؛ فَهَمُّ أَحْرَصَ عَلَى الْخَيْرِ مِنَّا، وَأَتَقَى لِلَّهِ مِنَّا، مَعَ ذَلِكَ سَكَتُوا، وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا؛ فَوَاجِبُنَا هَذَا.

قال: **(وَتَرَكُوا الْأَثَرُ)**

أَيُّ: الْجَهْمِيَّةِ، لَمَّا خَالَفُوا مَنْهَجَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، صَارُوا يَبْحَثُونَ بِعَقُولِهِمْ، وَتَرَكُوا الْأَدْلَةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ حَكَّمُوا عَقُولَهُمْ عَلَى اللَّهِ، وَصَارُوا يَحْكُمُونَ عَلَى اللَّهِ بِعَقُولِهِمْ؛ يَجُوزُ لَهُ كَذَا وَلَا يَجُوزُ لَهُ كَذَا، وَيَصْلُحُ لَهُ كَذَا وَلَا يَصْلُحُ لَهُ كَذَا؛ مِنْ أَيْنَ لَكُمْ؟

قال: **(وَوَضَعُوا الْقِيَاسَ)**

مِنْ هُنَا؛ مِنْ هُنَا لَهُمْ، لَمَّا قَالُوا: هَذَا يَصْلَحُ لِلَّهِ، وَهَذَا لَا يَصْلُحُ لِلَّهِ؟ وَضَعُوا الْقِيَاسَ؛ قَاسُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ، فَإِذَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ، وَالْعَبْدَ لَهُ يَدَانِ؛ فَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ يُصْبِحُ مِثْلُ الْعَبْدِ.

لَا؛ لَا يَصْلُحُ هَذَا؛ الْمِثْلِيَّةُ هَذِهِ نَقْصٌ فِي حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ إِذَا نَنَفَى الْيَدَيْنِ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

انْظُرْ كَيْفَ لَفُّوا! قَاسُوا اللَّهَ عَلَى عِبَادِهِ، ثُمَّ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ فِي ذَلِكَ نَقْصاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَمْثِيلُ اللَّهِ بِعِبَادِهِ؛ نَفَوْا عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ.

طَيِّبٌ؛ قُلْ بِأَنَّ لِلَّهِ يَدَيْنِ تَلِيْقَانِ بِهِ، وَلِلْعَبْدِ يَدَيْنِ تَلِيْقَانِ بِهِ؛ وَيَدِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَتْ مِثْلُ أَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ؛ وَانْتَهَى الْأَمْرُ.

فكما أنّك تقول: لله ذات وللعبد ذات؛ ولكن ذاتُ الله تليق به، وذات العبد تليق به؛ كذلك نقول في بقية الصّفات وينتهي الأمر.

لكن لا؛ ما وقفوا عند هذا، وأخذوا يجادل بعضهم بعضاً، وحكّموا عقولهم على الله سبحانه وتعالى بهذه الأقيسة الفاسدة، وتركوا كتاب الله وسنة الرّسول ﷺ، ثمّ تخبّطوا هم فيما بينهم بآراء وأقوال مختلفة؛ وهذا حال كلّ من ابتعد عن الأثر، ابتعد عن الكتاب والسنة، وحكّم عقله؛ هذه نتيجة، وقاسوا الدّين على رأيهم؛ صاروا يحكمون على دين الله بعقولهم لا بالكتاب والسنة، ورحم الله علي بن أبي طالب لما قال: "لو كان الدّين بالرّأي لكان مسح الخفّ من أسفل أولى من مسحه من أعلاه"⁽¹⁾، الآن نحن لما نمسح الخفّ نمسح عليه من أين؟ نمسح من فوق، لكن لماذا وهو حين يتسخ؛ يتسخ من تحت؟

لو كانت المسألة مسألة رأي (عقل)؛ سنقول: لا؛ تعال نمسح من تحت لا من فوق. إذاً الدّين ليس بالرّأي؛ الدّين بالتسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ؛ فقط، والله سبحانه وتعالى لا يكون غافلاً؛ ربّما عقلك يدرك الحكمة، ويعرف ما وراء هذا الأمر، وربّما لا يدركها؛ لأنّ عقلك مهما بلغ؛ فلن يدرك حكمة الله تبارك وتعالى التامة وعلمه الكامل؛ أبداً؛ لذلك؛ واجبك التّسليم لأمر الله سبحانه وتعالى؛ إن كنت مؤمناً حقّاً. متى تُسلم لكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ؟ إذا كنت مؤمناً تصدّق بأنّها من عند الله؛ فقط أمّا إذا كان في قلبك زيغ ومرض؛ فلن تُسلم؛ وتورد عليها الإيرادات والإشكالات العقلية التي من رأسك.

قال: (وقاسوا الدّين على رأيهم؛ فجاءوا بالكفر عياناً)،

لما صاروا يقيسون القياسات هذه ويحكمون على الله بعقولهم؛ جاؤوا بالكفر الصّراح؛ لأنهم صاروا: الله يُثبت وهم ينفون؛ حتى قالوا: الله سبحانه وتعالى لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف،

(1) أخرجه أبو داود (162) وغيرهما.

والله سبحانه وتعالى لا رحمن ولا رحيم، ولا له علم، ولا كذا ولا له كذا... يعني في النهاية الله غير موجود؛ كفر صراح، لا يتنازع فيه اثنان عاقلان.

(فجاؤوا بالكفر عياناً)

يعني واضحاً تراه بعينك؛ لا يخفى على أحد.

قال: (فكفروا وكفروا الخلق)

ليسوا هم فقط كفروا؛ بل وكفروا الخلق بإيقاعهم في ضلالاتهم، أو أنهم حكموا على من خالفهم بالكفر؛ فتحتمل كلمة: **(وكفروا الخلق)**: هذا وهذا؛

- إما أنهم كفروا الناس بإيقاعهم في الكفر،

- أو أنهم كفروهم بأن حكموا عليهم بالكفر لما خالفوا أهواءهم.

قال: (واضطربهم الأمر إلى أن قالوا بالتعطيل)

اضطربهم هذه القياسات العقلية والاتجاهات التي ساروا فيها إلى أن وقعوا في تعطيل الله سبحانه وتعالى عن صفاته وأسمائه؛ فهو يُثبت لنفسه الاسم وهم ينفونه، هو يُثبت لنفسه الصفة وهم ينفونها؛ هذا هو التعطيل؛ عطّلوا الله سبحانه وتعالى عما أثبت لنفسه.

قال المؤلف رحمه الله: **([101] وقال بعض العلماء- منهم الإمام أحمد بن حنبل-: "الجهمي كافر، ليس من أهل القبلة، حلال الدم، لا يرث، ولا يُورث؛ لأنه قال: لا جمعة ولا جماعة ولا عيدين ولا صدقة، وقالوا، "من لم يقل: القرآن مخلوق؛ فهو كافر")**

الجهمية ليسوا من أهل الإسلام أصلاً؛ قد كفّروهم أكثر من ستين عالماً من علماء الإسلام؛ ما السبب؟

قال: (الجهمي كافر ليس من أهل القبلة، حلال الدم، لا يرث، ولا يُورث)

هذا معنى "كافر"؛ لماذا قلنا خطورة التكفير؟

التكفير أمر خطير ليس سهلاً؛ ليس سهلاً أن تحكم على المسلم بأنه كافر؛ لأنه يترتب عليه أمور عظيمة:

أول أمر: استحلال دمه،

إذا قلت عن شخص بأنه كافر، وكان مسلماً؛ معنى ذلك أنه ارتدَّ، وإذا ارتدَّ؛ فحكمه في الشرع القتل؛ لكن يقتله الحاكم في الشرع؛ وليس فوضى؛ لا؛ هذا قصاص؛ محاكم شرعية، ويُرفع أمره إلى المحكمة، وشهود، وإثباتات، وليست فوضى، لكن هنا الآن موضوعنا المهم-المسألة لها في الفقه مباحث-.

قال: **(حلال الدّم)**

هذا الأمر الأول الذي يترتب على كفر الشخص.

قال: **(لا يرث ولا يُورث):**

لأنَّ النبي ﷺ قال: "لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"⁽¹⁾، ولا يغسّل، لا يكفّن، ولا يدفّن في مقابر المسلمين؛ كل هذه أحكام تنبني على كلمة فلان كافر؛ فهي كلمة عظيمة، ليست سهلة، قال النبي ﷺ: "من قال لأخيه كافر؛ فقد باء بها أحدهما"⁽²⁾، أنت الآن في سعة؛ لكن متى قلت: زيد كافر؛ فإما هو كافر، أو أنت؛ انتهينا، الأمر ما له ثالث؛ إما أنت أو هو.

ما السبب في تكفير الجهم هذا ومن اتبع منهجه؟

قال: **(لأنه قال: لا جُمعة، ولا جماعة، ولا عيدين، ولا صدقة):**

كل هذه أحكام الله سبحانه وتعالى قد نفاها.

لماذا؟ لأن الأعمال عنده ليست من الإيمان أصلاً؛ فالإيمان عنده معرفة؛ معرفة القلب فقط؛ مجرد أن تعرف الله سبحانه وتعالى، عرفت أن الله سبحانه وتعالى موجود؛ انتهى؛ فأنت مؤمن؛ بعد ذلك افعل ما تشاء، وقل ما تشاء، وإيمانك مثل إيمان جبريل؛ لا فرق؛ تشرب الخمر أربعاً وعشرين ساعة، تترك الصلّاة، لا تصوم، ولا تزكي، ولا أي شيء من هذه الأعمال؛ أنت مؤمن مثل جبريل تماماً؛ هل هذا الإنسان عاقل؟!

وقالوا: **(من لم يقل: "القرآن مخلوق"؛ فهو كافر)**

هذا أيضاً من الأسباب التي كُفّروا من أجلها؛ "من يقول القرآن غير مخلوق فهو كافر"؛ ما اكتفوا بأن يضلّوا وأن ينحرفوا؛ بل كفّروا من خالفهم؛ هم وقعوا في الكفر، وكفّروا من

(1) أخرجه البخاري (6764)، ومسلم (1614) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(2) أخرجه البخاري (6104)، ومسلم (60) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

خالفهم؛ فجعلوا الكُفر سبباً لتكفير الخلق؛ فهذه الأشياء من الأسباب التي جعلت العلماء يحكمون عليهم بالكفر؛ والأسباب كثيرة وضلالاته كثيرة!

رجل أخذ دينه عن اليهود؛ ماذا سيكون عنده؟ لا يستطيع اليهودي أن يأتي ويقول لك: أنا يهودي وسأفسد عليك دينك؛ لا أحد سيقبل منه؛ لكن لو جاءك فقال: أنا مسلم وتعال نتكلم في الدين؛ ويبدأ يُخَيِّص لك من الدّاخل.

الجاهل مباشرة سيقع في حباله، وسيأخذ عنه ويظنّه ما شاء الله: عالماً.

والعالم هو الذي يميّز بين الحق والباطل؛ فمرّجعه الكتاب والسنة ومنهج السلف رضي الله عنهم؛ فالدين عنده واضح؛ بخلاف الجاهل الذي لا يعرف رأسه من قدميه في الأمور الشرعيّة، مباشرة: أوّل ما يسمع منه كلمتين؛ خاصة إذا كان حلو اللسان، وكان عنده أسلوب وبلاغة؛ كثير من النّاس ينجرّون خلفه، وهذا واقع اليوم؛ نجد أناساً والله من الدعاة، هؤلاء الذين تروّهم على الفضائيات: ينطق بالكفر؛ كفر صريح، يقول: يجوز أن تعترض على الله! يجوز أن تعترض على رسول الله! يجوز أن تعترض على دين الله! هذا كفر صريح؛ تريد أكثر من هذا؟! يصدع، والناس يفتحون على الإذاعات ويسمعون له؛ فلان يتكلم! يتكلم بماذا؟ بالكفر، وآخر يُجوّز لليهود والنصارى أن يبقوا على دينهم؛ إذا اعترفوا أن محمّداً نبي للمسلمين! كفر صريح؛ أيش تريد أكثر من هذا؟ على المنابر، وفي المساجد، ويخطبون على أنّهم أئمة الإسلام! زمن عجيب!

قال المؤلف رحمه الله: **(وَاسْتَحَلُّوا السَّيْفَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَخَالَفُوا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَامْتَحَنُوا النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَرَادُوا تَعْطِيلَ الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ)**

استحلوا قتل المسلمين الذين يخالفونهم في الاعتقاد، عندهم من قال بأن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ كافر، يستحلّون قتله؛ لذلك قتل المأمون جمعاً من العلماء؛ علماء السنة، لما قال: القرآن مخلوق، وصار يمتحن العلماء بذلك؛ من قال إن القرآن مخلوق؛ تركه، ومن لم يقل إن القرآن مخلوق؛ قطع رأسه مباشرة؛ قطع رؤوس جمع من علماء المسلمين؛ فاستحلّوا دماء

المسلمين بذلك.

قال: (وخالفوا من كان قبلهم)

خالفوا منهج السلف وتركوه، كان الدين واضحاً صريحاً، وكانت كلمة أهل السنة هي العالية في القرون الثلاثة الأولى، وحتى لما كان يظهر من أهل البدع من يظهر؛ ما كان يستطيع أن يظهر رأسه، وأن يتكلم بصوت عالٍ؛ مباشرة كان يوقف عند حدّه؛ لكن بعد القرون الثلاثة الأولى، كما أخبر النبي ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته.." ⁽¹⁾، وذمّ القرون التي بعدها؛ وهي قروننا هذه، و: "ما من عام يأتي إلّا والذي بعده شرّ منه" ⁽²⁾؛ كما أخبر عليه الصلاة والسلام؛ شرّ بماذا؟ بضعف الدين عند الناس، ضعف الصّلاح؛ هذا حالنا الذي نعيشه نحن اليوم.

فالمنهج الذي كان على عهد السلف هو منهج الحق، بعد ذلك جاء هؤلاء وغيرُوا وبدّلوا، بعد انتهاء القرون الأولى تمكّن بعض دعاة الضلال من الوصول إلى الحاكم، ولبسُوا عليه- هذا المأمون- وتبنّى قولهم وصار يمتحن الناس على عقيدته الفاسدة، وانتشرت هذه العقيدة. العقيدة حين يتبنّاها حاكم من الحكّام؛ يجبر الناس عليها، ويرفع رؤوس الضلال، ويُمكنهم من الخطابات العامة، ويطمس أفواه أهل السنة، ويُسكّتهم؛ ينتشر الضلال والباطل ⁽³⁾. كيف تظنون أنّ المنهج الأشعري انتشر بين الناس؟ بهذه الطّريقة.

منهج المعتزلة كيف انتشر؟ بهذه الطريقة

الصّوفية؛ كيف انتشرت بين الأمة؟ بهذا الأسلوب الذي نراه اليوم، بهذه الطّريقة؛

(1) تقدم تخرجه

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (7068) عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلَقْنَاهُ مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اضْبُرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(3) أخرج اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (932) عن عبد الرحمن بن عمر الأصهباني، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول لفتى من ولد جعفر بن سليمان: مكانك، فقعد حتى تفرق الناس، ثم قال: تعرف ما في هذه الكورة من الأهواء والاختلاف، وكل ذلك يجري مني على بال رضى؛ إلا أمرك وما بلغني، فإن الأمر لا يزال هيناً ما لم يصر إليكم، يعني السلطان، فإذا صار إليكم، جل وعظم... فذكر الخبر.

حين يتبى حاكم من الحُكَّام هذه المناهج الفاسدة؛ ينشرها بين النَّاس، ويدعو إليها، ويُسكَّت أهل السنَّة حتى لا يُعارضوا هذه المناهج.

قال: **(واستحلُّوا السَّيفَ على أُمَّةٍ محمَّد ﷺ، وخالفوا من كان قبلهم)**
خالفوا منهج السلف رضي الله عنهم.

قال: **(وامتحنوا النَّاسَ بشيءٍ لم يتكلَّم فيه رسول الله ﷺ)**

امتحانوا النَّاسَ: "ماذا تقول أنت؟ القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟"،
فإن قلت: "مخلوق"؛ فأنت آمن،

وإن قلت: "غير مخلوق"؛ قطعوا رأسك؛ هذه طريقة امتحانهم.

هل فعل النبي ﷺ ذلك؟ هل تكلم بهذا؟ لا شيء من هذا، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم.

قال: **(وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع)،**

لماذا؟ لأنَّ مذهبهم: مُجرَّد المعرفة تكفي!

خلاص، بعد ذلك صلِّي في بيتك أو لا تصلي! لا مشكلة عندهم، فأرادوا تعطيل المساجد،
وتعطيل الجوامع من الصَّلَاة! كي لا تقام فيها الدروس والعبادة.

قال المؤلف: **(وأوهنوا الإسلامَ، وعطلوا الجهادَ، وعملوا في الفرقةِ، وخالفوا الآثارَ، وتكلَّموا بالمدسوخِ، واختجُّوا بالمتشابهِ، فشكَّوا النَّاسَ في أديانهم، واختصَّموا في ربِّهم، وقالوا: ليسَ هناك عذابُ قبرٍ، ولا حوضٌ، ولا شفاعَةٌ، والجَنَّةُ والنَّارُ لم يُخلقا، وأنكروا كثيراً ممَّا قال رسولُ الله ﷺ: فَاسْتَحَلَّ مَنْ اسْتَحَلَّ تَكْفِيرُهُمْ وَدِمَاءُهُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ؛ لَأَنَّهُ مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؛ فَقَدْ رَدَّ الْكِتَابَ كُلَّهُ، وَمَنْ رَدَّ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَدْ رَدَّ الْأَثَرَ كُلَّهُ، وَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)**

قال: **(أوهنوا الإسلام)** يعني أضعفوه.

من أسباب ضَعْفِ المسلمين، وجعلهم ضعفاء أمام أعدائهم: كثرة البدع فيما بينهم؛ ظهور أهل البدع وكثرتهم بين المسلمين؛ من أعظم الأسباب التي تُضعف شوكة المسلمين
انظروا عندما تخرج فرقة كالخوارج! ماذا تفعل في بلاد المسلمين؟!

الرّافضة! ماذا فعلوا في بلاد المسلمين؟!

الصّوفية؛ وهلمّ جرّاً

الصّوفية سميت أفيون الشّعوب لماذا؟

لأنها مُخدِّر تُخمد الشّعب؛ تُنيمه؛ اجلس على الرّأس بالغناء، والأكل، والشّرب، والخزعات الفارغة، وبعده طعن النفس بالسّيف والرمح على أنها كرامات وما شابه، خلاص؛ هذا هو دينهم! ما عندهم شيء اسمه جهاد أصلاً؛ فأضعفوا بلاد المسلمين.

الخوارج؛ يُضعفونها بطريقة ثانية: همّهم قتل المسلمين، لا يهّمه الكافر؛ المهّم عنده المسلم! يكفر المسلم، ثمّ يكون عنده المسلم أعظم كفراً من الكافر؛ فيشتغل به، يقول: نبدأ بهؤلاء؛ فهم مرتدون، والمرتدون كفرهم أعظم من كفر الكافرين؛ ويبدأ بهم؛ هذه حالهم، الآن في سورية، وفي العراق وغيرها من بلاد المسلمين؛ ليبيا تذوق الأمرين منهم، مصر وغيرها، الجيش يكون قوياً، متيناً، متّحداً، يدخل هؤلاء فيما بينهم؛ فيشتتونه ويضعفونه، وأعظم مُنتفع من وراء ذلك: هم أعداء الدّين؛ لأنّهم يُضعفون الدّولة، خلاص لم يعد هناك دولة؛ تنتهي، حين يُحارب جيشها ويُقتل من داخله؛ لا تبقى دولة، فيوهنوا الإسلام؛ يضعّفونه. لذلك الآن يحاول أعداء الدين استغلال الصّوفية والخوارج والحزبيين في القضاء على الدين بتمكين هؤلاء في البلاد ودعمهم بالخفاء.

الخوارج إذا أراد الكفار وأذنابهم من العلمانيين احتلال بلد مسلم أو التمكن منه، نشروهم ومكنوا لهم ودعموهم بالخفاء، ثم جاءوا لمحاربتهم والقضاء عليهم، بحجة القضاء على الإرهاب في زعمهم، وبذلك يتمكنون من دخول البلاد وتحقيق أهدافهم فيها، بل وربما بمساعدة بعض المسلمين على ذلك للتخلص من شر الخوارج، وبعدها يأتي دور الصّوفية والعلمانيين في نشر أفكارهم بين الناس. هذا الأسلوب السائد اليوم في البلاد.

قال: **(وعطّلوا الجهاد)**؛

لم يعد هناك شيء اسمه جهاد في سبيل الله عند هؤلاء! كالصّوفية مثلاً؛ هؤلاء ما عندهم جهاد، جماعة التّبليغ؛ ما عندهم جهاد، الجهاد منسوخ عندهم، كل الآيات التي وردت في الجهاد في القرآن والسنة؛ ما لها أي اعتبار.

قال: **(وعملوا في الفرقة)**

فرّقوا الأُمَّة؛ شتّتوها، فالذي هو معهم: يوالونه ويحبّونه، والذي ضدّهم: يكرهونه ويبغضونه ويعادونه؛ ففرّقوا الأُمَّة وشتّتوها بهذه الطّريقة.

سبب تفريق الأُمَّة هم أهل البدع وليس أهل السنّة، من عِظَم جهل كثير من النّاس أنّهم عندما يسمعون عالماً من العلماء السنّة يحذّر من مبتدع، فرّق الأُمَّة وشتّت بها بدعته؛ يقولون: هذا العالم يُفرّق الأُمَّة!

انظر كيف انقلبت الموازين، قال النّبي ﷺ: "يصدّق الكاذب ويكذبُ الصادق" (1)؛

هذا الذي حصل: عالم يُحذّر من المبتدع الضّال الذي يحرفك عن دين الله سبحانه وتعالى؛ يقولون يفرّق في الأُمَّة، يُحذّر من العلماء! هو حذّركَ نصيحةً لك؛ "الدينُ النصيحة"

أش بهمه الموضوع؛ يجلس في بيته، ويشغل بشُغله؛ وينتهي الأمر؛ لكن أوجب الله عليه النصيحة؛ أن يتكلّم، وأن يُبين لك الحق من الباطل؛ لأنّك لا تعرف، وهو الذي عرف؛ فوجب عليه أن يُبين.

فالمُفرّق للأُمَّة حقيقةً: هو المبتدع؛ لا العالم السنّي، المبتدع الذي ابتدع في دين الله ما ليس منه، ووالى وعادى على بدعته؛ فرّق الأُمَّة شتّتاً.

قال: **(وخالفوا الآثار)**:

مخالفة الآثار تُضيع الإنسان

قال: **(وتكلّموا بالمنسوخ)**،

يتركون الأدلة النّاسخة الثابتة، ويأخذون بالمنسوخ! يأخذون بالعمومات والإطلاقات، ويتركون الأدلة الخاصة والمقيدة والمبينة، هذا من طريقة أهل البدع، فانتهوا.

انظر الرّافضة ماذا قالوا في نكاح المتعة؟ أخذوا بالمنسوخ منها، وتركوا النّاسخ المُحكّم! فتركوا أدلّة التّحريم الصّريحة الواضحة، وتمسّكوا بالأدلة المنسوخة التي رُفع حكمها، وانظروا إلى

(1) أخرجه أحمد (7912)، وابن ماجه (4036) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَعَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيَكْذِبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ النَّافِ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».

الخوارج والإخوان، يأخذون بالأدلة العامة في النهي عن المنكر للخروج على الحاكم المسلم، ويتركون الأدلة الخاصة التي وردت فيه؛ هذه طريقة أهل البدع، أهل الزيغ؛ لأنّ في قلوبهم مرضاً، والذي في قلبه مرض لا يُعجبه الحكم الشرعي؛ فيريد أن يلتفّ عليه بأيّ طريقة؛ فيتمسّك بالمتشابهات.

قال: **(واحتجوا بالمتشابه)**

انظر أدلة الشرع من الكتاب والسنة؛ فيها مُحكم ومُتشابه، فيها أدلة دلالتها على المعاني التي تدلّ عليها صريحة واضحة؛ لا خفاء فيه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁽¹⁾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾⁽²⁾،

"أين الله؟" قالت: في السماء، قال: اعتقها فإنّها مؤمنة"⁽³⁾، ﴿أَأَمِنتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾⁽⁴⁾...

أدلة كثيرة جداً على علو الله على خلقه، يتركون كل هذا؛ ويأتون إلى المتشابهات: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾⁽⁵⁾؛ يقول خلاص: امسك هذا، يتركون المحكمات، ويذهبون إلى المتشابهات.

يقول النبي ﷺ: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامون في رؤيته"⁽⁶⁾؛ صريح واضح على رؤية الله يوم القيامة، يأتي ويتمسّك بـ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَرَاني﴾⁽⁷⁾؛ هذا من المتشابهات! يترك الدليل الواضح الصريح ويمسك بالمتشابهات؛ كالكفار؛ بعض الكفار يحتج على بعض المسلمين الذين في أوربا بلاد الروم؛ فيورد هذا الإشكال: يقول: أنتم في القرآن تقولون: أن عيسى جزء من الله؛ ماذا تريد أكثر من هذا؟!

(1) [طه:5]

(2) [فاطر:10]

(3) تقدم تخريجه.

(4) [المالك:16]

(5) [الحديد:4]

(6) تقدم تخريجه.

(7) [الأعراف:143]

أين؟!

قال: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾؛ أَلستم أنتم تقولون هذا في القرآن؟

قال: نعم.

أشكلك على بعض الشباب، انظر كيف يتمسك بالمتشابه ويترك المحكم.
طيب؛ أين أنت من الآية: ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾⁽¹⁾، لماذا تركت
هذه وتعلقت بتلك؟!

هذه تحتل معنيين: تحتل المعنى الذي ذكرته، وتحتل أنه من خلق الله؛ ﴿روح منه﴾:
خلقها هو وأوجدها هو.

لماذا تركت هذه وأخذت بالثانية، رُدّها إلى المحكم؛ تفهم معناها.
عندنا آيات مُحكمات وآخر متشابهات: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾، الذي
في قلبه مرض: يترك الدليل الواضح الصريح على المراد؛ ويذهب إلى المتشابه الذي يشتبه،
ويتمسك به على مُرادِه؛ لأنّه صاحب هوى، لا يُريد دين الله الحق؛ بل يريد أن يتلاعب
لماذا يفعلون هذا؟

قال: ﴿إِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَإِبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾⁽²⁾ يريدون الفتنة، يريدون زلزلة إيمان الناس وإفساد دينهم؛
هذا الذي أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "إذا رأيتَ
من يتَّبِع المتشابه منه؛ فاحذرهم؛ فأولئك الذين سمى الله عز وجل"⁽³⁾.

ربّما يقول قائل: لماذا جعل الله في آياته وأحاديث نبيه ﷺ مُحكمات ومتشابهات، لماذا لم يجعلها كلها
محكمة، وأغلق الباب على أصحاب الأهواء؟
الجواب: حتى يعلم الله تبارك وتعالى الصادق من الكاذب.

(1) [آل عمران: 59]

(2) [آل عمران: 7]

(3) تقدم تخریجه.



وليس معنى "**يعلم**": أنه لا يعلم! لا؛ هو يعلم؛ لكن علمه لا يترتب عليه عقاب وثواب؛ إنّما يترتب العقاب والثواب على العمل، فعندما يتّبع الشخص المتشابه: يظهر أمره، ويصير عنده عمل يستحقّ العقاب عليه؛ هذا ما يريده ربّ العزة تبارك وتعالى؛ فيميّز بذلك الخبيث من الطيّب؛ فهو اختبار وامتحان لخلقه.

قال: (**فشكّوا الناس في أديانهم**)

بتعلقهم بالمتشابهات، لما يأتي لشخص يُريد أن يُقنعه في مسألة عنده؛ يأخذ بالمتشابه ويُلقيه عليه، فيشكّ ذاك؛ يتخبّط؛ فليس عنده علم يستطيع أن يردّ به تلك الشُّبهات. لذلك نحن نقول دائماً: لا يحوز الجلوس إلى أهل البدع والسّماع لهم؛ لأنّ القلوب ضعيفة والشُّبه خطّافة، لا تستطيع أن ترد الشبهة؛ فتقع في قلبك؛ فتضيع؛ لذا: لا تستمع إليهم.

قال: (**واختصموا في ربّهم**)

وقع نزاعات بينهم في ربّ العزة تبارك وتعالى؛ يسمع أم ما يسمع؟ يرى أم لا يرى؟ في السّماء أم ليس في السّماء؛ خصومات، ونزاعات فيما بينهم؛ أهل البدع والضلال.

قال: (**وقالوا: ليس هناك عذاب قبر، ولا حوض، ولا شفاعاة**)؛

ليس هناك عذاب قبر، ولا حوض، ولا شفاعاة؛ ولا شيء من الذي ثبت في الكتاب والسنة؛ ليس عندهم اعتبار للكتاب والسنة أصلاً؛ همّهم فقط: هل يركب هذا الشيء على عقله أم لا يركب!

هذا هو دينه، هكذا هو دينه؛ ليس مأخوذاً لا من القرآن ولا من السنة.

قال: (**والجنة والنار لم يُخلقا**)

غير مخلوقتين أصلاً الآن غير موجودتين لا الجنة والنار؛ والله سبحانه وتعالى قال: ﴿**أُعِدَّتْ**

لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾، و﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾⁽²⁾؛ أين ذهبت هذه الآيات؟!

أُعِدَّتْ، يعني: جاهزة موجودة!

(1) [آل عمران: 133]

(2) [البقرة: 24]



النبي ﷺ دخل الجنة ورأى فيها ما رأى، ورأى ما في النار، وأخبر بذلك في أحاديث متواترة؛ فأين ذهبتم بهذا كله؟!

لا يرفعون بذلك رأساً.

قال: **(وأنكروا كثيراً ممّا قال رسول الله ﷺ: فاستحلّ من استحلّ تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه)**

هذا هو السبب: ردُّ أحاديث النبي ﷺ، ردّ كتاب الله تبارك وتعالى!

أيُّ إيمان هذا؟! أيُّ إيمان عند هؤلاء القوم؟!

إذا كان لا يؤمن لا بـ "قال الله" ولا: "قال النبي ﷺ"؛ إذاً لماذا تصف نفسك أنت بالإيمان؟!

ليس هذا إيماناً؛ الإيمان: أن تؤمن بما جاء عن الله تبارك وتعالى، وبما جاء من عند الله سبحانه وتعالى؛ إذا لم تؤمن بنبيه ﷺ، ولم تؤمن بما جاء به ﷺ من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ؛ أنت كاذب في إيمانك؛ لا يوجد إيمان.

قال: **(لأنّه من ردّ آية من كتاب الله؛ فقد ردّ الكتاب كله)**

وهذا محل إجماع؛ العلماء جميعاً على هذا القول: من كفر بآية من كتاب الله، كلمة في كتاب الله سبحانه وتعالى تُكذِّب بها؛ فقد كذّبت بالقرآن كله؛ فأنت لا تؤمن بكتاب الله سبحانه وتعالى؛ لذلك فإن من يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ (قل) ليست من ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذا كافر؛ لأنّه نفى كلمة موجودة في كتاب الله وأنكرها، وأجمع العلماء على ذلك؛ بأن من أنكر كلمة في كتاب الله سبحانه وتعالى؛ فهو كافر

قال: **(ومن ردّ حديثاً عن رسول الله ﷺ؛ فقد ردّ الأثر كله، وهو كافر بالله عظيم)**

حديث يعلم أنه حديث النبي ﷺ، وأنه صحيح، ويردّه، يُنكره من غير تأويل ولا شيء؛ هذا كافر؛ ما هو مؤمن بكتاب الله ولا بسنة النبي ﷺ؛ فالإيمان أن تؤمن بالنبي ﷺ، تؤمن بالقرآن، تؤمن بالسنة؛ هذا هو الإيمان.

قال رحمه الله: **(فَدَامَتْ لَهُمُ الْمُدَّةُ، وَوَجَدُوا مِنَ السُّلْطَانِ مَعُونَةً عَلَى ذَلِكَ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ وَالسَّوْطَ عَلَى مَنْ دُونَ ذَلِكَ؛ فَدَرَسَ عِلْمُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَوْهَنُوهُمَا، وَصَارَتَا مَكْتُومَتَيْنِ؛**

لإظهار البدع والكلام فيها، ولكثرتهم، واتخذوا المجالس، وأظهروا رأيهم، ووضعوا فيه الكتب، وأطمعوا الناس، وطلبوا لهم الرئاسة؛ فكانت فتنة عظيمة، لم ينج منها إلا من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم: أن يشك في دينه، أو يتابعهم، أو يرى رأيهم على الحق، ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل؛ فصار شاكاً؛ فهلك الخلق، حتى كان أيام جعفر؛ الذي يقال له: المتوكل؛ فأطفاً الله به البدع، وأظهر به الحق، وأظهر به أهل السنة، وطالت السننهم؛ مع قلتهم، وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا)

قال: (فدامت لهم المدة)

أي: لهؤلاء الجهمية، دامت معهم المدة، ومضى وقت فرحوا به، سيطروا على الحكم، وتسلبوا على عباد الله الصالحين.

قال: (ووجدوا من السلطان معونة على ذلك)؛

هذا أكبر البلاء- أو من أكبر البلاء:- أن يجد أهل البدع والضلال وأهل الكفر والخصام معونة من السلطان؛ فيتسلط على رقاب المسلمين والصالحين.

قال: (ووضعوا السيف والسوط على من دون ذلك) على المسلمين

قال: (فدرس علم السنة والجماعة، وأوهنوهما)

اضمحل علم السنة؛ علم الشرع؛ علم الدين الصحيح؛ ضعف.

طبعاً هو لا ينتهي؛ لأن النبي ﷺ قال: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله"⁽¹⁾؛ فالحق يبقى موجوداً وظاهراً في كل زمن؛ لكن تارة تكون صولة وقوة لأهل البدع، وتارة يضعفون؛ وهكذا سنة الله في خلقه.

قال: (فدرس علم السنة والجماعة وأوهنوهما وصارتا مكتومتين؛ لإظهار البدع والكلام فيها، ولكثرتهم، واتخذوا المجالس، وأظهروا رأيهم، ووضعوا فيه الكتب، وأطمعوا الناس، وطلبوا لهم الرئاسة)

أطمعوا الناس؛ طمعوهم ورغبوهم.

كيف ينشر المبتدع بدعته؟

(1) تقدم تخرجه.

إما بالمال، أو بالمنصب، أو بأي شيء من أمور الدنيا؛ يطمع الناس ويمشون معه؛ وهذا ما يستغله أهل البدع اليوم؛ نفس الطريقة (وأطمعوا الناس وطلبوا لهم الرئاسة)؛ أعطه مالا أو رئاسة؛ وسيضيع مباشرة؛ إلا من رحم ربّي سبحانه وتعالى.

قال: (فكانت فتنة عظيمة، لم ينبج منها إلا من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرجل من مُجالستهم: أن يشكّ في دينه)

أقل شيء كان يصيب الرجل في ذاك الزمن أنه إذا جالسهم: شكّ في دينه؛ صار لا يدري؛ هل ما يعتقد حقا أم باطلا؛ هذا أقل شيء.

قال: (أو يتابعهم، أو يرى رأيهم على الحق)

هو بين هذا وهذا؛ يعني أفضل واحد فيهم يخرج شاكا، أو يأخذ منهمجهم ويمشي على ما هم عليه

قال: (ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل؛ فصار شاكا؛ فهلك الخلق، حتى كان أيام جعفر الذي يقال له المتوكل)

هلك الناس إلا من رحم ربي سبحانه وتعالى، وانتشرت هذه البدع والضلالات، وصارت لها سطوة في تلك المدة؛ وهي مدة المأمون؛ أحد خلفاء الدولة العباسية، وكذلك في مدة أخيه المعتصم، وكذلك في مدة ابن المعتصم وهو الواثق؛ حتى جاء المتوكل؛ وهذا الذي سمّاه بجعفر الذي يقال له المتوكل؛ وهذه ألقاب كانت عند أمراء الدولة العباسية: الواثق، والمتوكل، والمأمون، والأمين.. وما شابه.

المتوكل: هذا أخو الواثق وابن المعتصم، هؤلاء: المأمون، والمعتصم، والواثق؛ كانوا على نفس العقيدة هذه؛ إلى أن جاء جعفر المتوكل؛ فتبني عقيدة أهل السنة والجماعة، ورجع إلى ما كان عليه الأمر ورفع هذه المحنة، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا.

قال: (فأطفأ الله به البدع، وأظهر به الحق، وأظهر به أهل السنة، وطالت ألسنتهم؛ مع

قلّتهم، وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا)

كثّر أهل البدع؛ صارت لهم سطوة، ولهم كتب، ولهم دعاة، ينشرون هذا المنهج؛ لكن لما رجع جعفر المتوكل؛ أعزّ الله سبحانه وتعالى به أهل السنة، وكان العلماء قد مات منهم من مات،

وأجاب منهم من أجاب: خوفاً من السيِّف؛ فقال القرآن مخلوق؛ فقط خوفاً من السيِّف ريثما يرتفع الأمر،

وكان الإمام أحمد- رحمه الله- ممّن ثبت ونجاه الله فلم يمُت، ورفع الله سبحانه وتعالى رفعة عظيمة، وكان له المقام والمكانة التي يُعرف بها الآن، فإذا ذكر أحمد؛ ذكرت السنّة معه؛ لأنه كان رافع رايتها في ذاك الزمان رحمه الله، وأكرمهم المتوكل هذا رحمه الله، وأعزّ أهل السنّة، وردّ لهم هيبتهم ومكانهم؛ لكن مع ذلك: بقيت البدعة ظاهرة وقوية إلى زماننا هذا، والبدع منتشرة بين النّاس؛ لكن الحمد لله وبفضل الله قال النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمّتي على الحق لا يضرّهم من خالفهم أو من خذلهم حتّى يأتي أمر الله"؛ فستبقى هذه الطائفة تدعو إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، وإلى ردّ النّاس إلى ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وإلى ما كان عليه أئمة الزّمان كمالك، والشّافعي، وأحمد، وغيرهم من أئمة الإسلام إلى قيام السّاعة؛ هذه الطائفة ستبقى موجودة مع قوّة أهل البدع؛ قوّة شوكتهم؛ لكن تبقى حجة أهل السنّة هي الأقوى وقولهم هو الفصل وهو المرتفع إن شاء الله؛ هذه سنّة الله تبارك وتعالى في خلقه فنسأل الله أن يُثبتنا وإياكم على الحق وأن يجنّبنا البدع ما ظهر منها وما بطن.

نكتفي بهذا القدر إن شاء الله

